الرد على مَنْ يدّعي التشابه بين جامع سامراء وجامع أحمد بن طولون

أ. م. د. منتصر صالم كاظم
جامعة سامراء- كلية الآداب

م. معتصم مالك عواد
جامعة سامراء- كلية الآداب

الملخص

ذكر الكثير من المختصين بالآثار والتأريخ أنَّ جامع أحمد بن طولون هو شبيه بجامع سامراء الكبير. وأنَّ اول مَنْ ذكر هذا الكلام هو المقريزي إذ قال: ((وبناه على بناء جامع سامراء)). أي: أحمد بن طولون، والحقيقة أنَّ المقريزي قال: هذا مجرد كلام، ولم يسنده إلى مصدر ولاسيما أنَّ المقريزي ولد عام (٧٦٤ هـ) وتوفي عام (٨٤٥هـ)، أي: أنَّ المقريزي قد ولد بعد (٤٨٥) سنة من اهمال وتخريب مدينة سامراء الذي أهمل سنة (٢٧٩هـ) بعد أنْ ترك الخليفة المعتمد على الله مدينة سامراء وعاد بالعاصمة الى بغداد. وهذا يسند كلامنا أنَّ كلام المقريزي كان كلامًا عابرًا ليس له صحة وغير دقيق، ولاسيما إذا قارنا بين المسجدين. وللأسف اتبع قول المقريزي الكثير من المختصين في الآثار والتأريخ -كما ذكرنا- من دون بحث علمي بل هو التقليد. وحقيقة الأمر أنَّ المسجدين مختلفان في التخطيط والعمارة وهذا ما سنفصله في هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الملوية، سر من رأى، العمارة الإسلامية، المقريزي، الفسطاط.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 10, Issue 33, Aug 2023
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

Responding to those who claim similarities between the Mosque of Samarra and the Mosque of Ahmed Ibn Tulun

Mutasim Malik Awwad
Muntaser Saleh Kazem

University of Samarra- College of Arts

Abstract

Many archaeologists and historians have mentioned that the Ahmed Ibn Tulun Mosque is similar to the Great Mosque of Samarra. And the first to mention this speech was Al-Maqrizi, when he said: (And he built it on the building of the Samarra Mosque). That is, Ahmed bin Tulun, and the truth is that Al-Maqrizi said this is just talk and did not attribute it to a source, especially since we learned that Al-Maqrizi was born in (764 AH) and died in (845 AH), meaning that Al-Maqrizi was born after (485) years of neglect and destruction of the city of Samarra, who neglected a year (279 AH) after the caliph al-Mu'tamid left the city of Samarra and returned the capital to Baghdad. This supports our statement that al-Maqrizi's words were fleeting, untrue and inaccurate, especially if we compare the two mosques. Unfortunately, the saying of Al-Maqrizi was followed by many specialists in archeology and history, as we mentioned, without scientific research, but rather it is imitation. The fact of the matter is that the two mosques are different in planning and architecture, and this is what we will detail in this study.

Keywords: Al-Malwiya, Surra Man Raa, Islamic architecture, Al-Maqrizi, Al-Fustat.

المقدمة:

أيقن المختصون بالعمارة الإسلامية والتأريخ الإسلامي بشكل مطلق أنَّ تخطيط وعمارة جامع أحمد بن طولون هو شبيه لجامع سامراء الكبير (جامع الملوية)، وأنَّ سبب هذا الايمان المطلق بالتشابه أتى من الرواية التأريخية التي نقلها لنا المقريزي إذ قال: ((وبناه على بناء جامع سامراء)). أي: أحمد بن طولون، والحقيقة أنَّ المقريزي قال: هذا مجرد كلام، ولم يسنده الى مصدر ولاسيما أنَّ المقريزي ولد عام (٧٦٤ هـ) وتوفي عام (٨٤٥هـ) أي: أنَّ المقريزي قد ولد بعد (٤٨٥) سنة من اهمال وتخريب مدينة سامراء الذي أهمل سنة (٢٧٩هـ) بعد أنْ ترك الخليفة المعتمد على الله مدينة سامراء وعاد بالعاصمة الى بغداد. وهذا يسند كلامنا أنَّ كلام المقريزي كان كلامًا عابرًا ليس له صحة وغير دقيق، ولاسيما إذا قارنا بين المسجدين. وللأسف اتبع قول المقريزي الكثير من المختصين في الآثار والتأريخ –كما ذكرنا– من دون بحث علمي بل هو التقليد. وهذا ما سنوضحه في هذه الدراسة.

المبحث الأول

الاختلاف بين الجامعين في التخطيط والعمارة

ذكر الكثير من المختصين بالآثار والتأريخ أنَّ جامع أحمد بن طولون هو شبيه بجامع سامراء الكبير. وأنَّ اول مَنْ ذكر هذا الكلام هو المقريزي إذ قال: ((وبناه على بناء جامع سامراء))[١]. أي: أحمد بن طولون، والحقيقة أنَّ المقريزي قال: هذا مجرد كلام، ولم يسنده الى مصدر ولاسيما أنَّ المقريزي ولد عام (٧٦٤ هـ) وتوفي عام (٨٤٥هـ)، أي: أنَّ المقريزي قد ولد بعد (٤٨٥) سنة من إهمال وتخريب مدينة سامراء الذي أهمل سنة (٢٧٩هـ) بعد أنْ ترك الخليفة المعتمد على الله مدينة سامراء وعاد بالعاصمة الى بغداد. وهذا يسند كلامنا أنَّ كلام المقريزي كان كلامًا عابرًا ليس له صحة وغير دقيق، ولاسيما إذا قارنا بين المسجدين. وللأسف اتبع قول المقريزي الكثير من المختصين في الآثار والتأريخ –كما ذكرنا– من دون بحث علمي بل هو التقليد.

علمًا أنَّ جامع سامراء لم يكن له مثيل في العالم الإسلامي؛ لمساحته وجمال هندسته وتفرّد مأذنته، حتى أنَّ جامع مدينة المتوكلية (جامع أبي دلف) الذي بناه الخليفة المتوكل وهو ذاته الذي بنى جامع سامراء لم يستطع أنْ يبني جامع أبي دلف بالحجم الذي بنى فيه جامع سامراء، حتى ملوية ابي دلف أتت أقل ارتفاعًا بكثير من مأذنة جامع سامراء على الرغم من أنّها كانت بالتصميم والشكل نفسه. ممّا يؤكد أنَّ جامع سامراء لم يتكرّر له مثيل في العمارة الإسلامية.

وصحيح أنَّ أحمد بن طولون تأثر كثيرًا بمدينة سامراء حتى أنّه قسّم مدينته الجديدة الى قطائع –كما كانت عليه مدينة سامراء– الى درجة اطلق عليها اسم (مدينة القطائع)، وجعل مدينته خاصة بعد أنْ خرج من مدينة الفسطاط؛ لكثرة العرب فيها فأراد أنْ تكون المدينة الجديدة له ولجنده الأتراك ولحاشيته المقربين، وهذا يذكرنا بالظروف التي بنيت على أسسها مدينة سامراء عام (٢٢١هـ) على يد الخليفة المعتصم بالله بعد أنْ قرّر الخروج من مدينة بغداد وبناء مدينة له ولجنده الاتراك ولخاصته، وكانت الفسطاط مدينة العرب ومدينة بابلون يسكنها الاقباط فأصبحت مدينة القطائع للأتراك[٢].

وتأثرت مدينة القطائع كثيرًا بعمارة مدينة سامراء وهذا الموضوع لا يمكن انكاره او الشك فيه؛ لكون مدينة سامراء أصبحت مدرسة للعمارة والزخرفة ولاسيما الزخرفة في الجصّ حتى ذاع اسم مدرسة سامراء للزخرفة على الجص وطرز سامراء للزخرفة على الجص ولم يقتصر تأثيرها على مدينة القطائع فقط أو مصر بالتحديد بل اتسع شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا في أقاليم العالم

الإسلامي وتعدّاها[٣]. ومع كلّ هذا التأثر بمدينة سامراء، جاء المسجد الجامع مختلفًا في مدينة القطائع عن مسجد سامراء الكبير على الرغم من مناداة الكثير بالتشابه –وهو موضوع بحثنا–، وهذا ما ينبغي علينا تصحيحه بالمقارنة بين المسجدين في التخطيط والعناصر العمارية، وهما مختلفان تمامًا:

الموقع

اقيم جامع سامراء على ارض منبسطة مستوية مع الأرض التي تحيط بها[٤]، اما مسجد ابن طولون فأتى مختلفًا حتى في اختيار الموقع فهو على ربوة كانت تعرف باسم (جبل يشكر)[٥]، وكان جامع سامراء لمدينة سامراء فقط ولا تشاركها مدينة أخرى فيه، اما جامع ابن طولون فيقع في الطرف الجنوبي من مدينة القطائع، أي: بين مدينة العسكر القديمة ومدينة القطائع الجديدة، وهكذا جاء جامع بن طولون في مكان وسط بين مدينة الفسطاط والعسكر والقطائع؛ ليسعى إليه سكان هذه المدن الثلاث[٦]. ولاسيما وأنَّ جامع سامراء اشترك في اختيار الموضع والتخطيط جمعٌ من المهندسين، اما جامع بن طولون فكان تحت اشراف مهندس نصراني واحد[٧].

التخطيط والشكل

ممّا لا شكَ فيه أنَّ مسجد سامراء ذا شكل مستطيل وجدرانه كانت ماثلة للعيان مبنية بالأجر. وقد وصفه المستشرق (روس) كذلك عام (١٨٣٤م) بحسب ما نقل لنا الدكتور طاهر مظفر العميد[٨]. وقال كرزويل : ((إنَّ طوله (٢٤٠م) وعرضه (١٥٦م)))، وهو بهذا اكبر مساجد العالم الإسلامي أي: ما تعادل مساحته (٣٨٥٠٠م٢)[٩]. ويتبين من الدراسات الحديثة وزيارتنا الميدانية أنَّ قياسات ومساحة المسجد في الوقت الحاضر قريبة من القياسات التي أعطاها كرزويل. وأنَّ الجامع مدعم بدعامات لسوره من الخارج ذات شكل نصف اسطواني باستثناء دعامات الزوايا أخذت شكل ثلاثة ارباع الشكل الاسطواني تقوم جميعها على قواعد مستطيلة وعددها (٤٤) دعامة[١٠].

اما جامع أحمد بن طولون فيأخذ شكل المربع ومساحته (٢٦١٤٣م٢)[١١]، ولم تدعمه أيّ دعامات لسند الجدار من الخارج، ممّا يعني أنَّ جامع سامراء يختلف في الشكل والمساحة عن جامع بن طولون. وتعلو جدار الجامع من الخارج شرفات تعلو سطحه (سقفه)، والشرفات هي تلك العناصر العمارية التي تتوج جدران الأبنية، وتأخذ أشكالاً هندسية مختلفة يغلب عليها الشكل المثلث المسنّن أو الهرمي المدرّج، او تكون ذات رؤوس مستديرة، مرتبة بعضها الى جانب

البعض الآخر، وهي لا تخصّ نوعًا من العمارة من دون الاخرى بل شملت معظم العمائر الدينية والمدنية والعسكرية، وطبقًا لذلك فإنّها تجمع بين الوظيفة الدفاعية، إذ يحتمي خلفها المدافعون ويشرفون بها على ساحة المعركة ويطلقون شتى أنواع المقذوفات. والوظيفة الجمالية، إذ تتخذ حلية جمالية[١٢]. ممّا يعني أنّها اخذت جانبًا جماليًا في جامع بن طولون، حتى أنّها أُطلق عليها العرائس؛ لأنّها تشبه الاشكال الآدمية تلتصق ايديها وأرجلها مع بعض[١٣]. (لوح-١)

بيت الصلاة

يتكون بيت الصلاة في جامع سامراء من شكل مستطيل بعمق (٦٢م) و (٩) اساكيب موازية لجدار القبلة و (٢٥) بلاطة متساوية، عدا بلاطة المحراب فهي أوسع من البلاطات الأخرى إذ يبلغ عرضها (٢٠،٤م) [١٤]، (مخطط-١) اما بيت الصلاة في جامع بن طولون فصحيح أنّه ذو شكل مستطيل وهذا لا يعني التشابه مع بيت الصلاة جامع سامراء إذ اغلب بيوت الصلاة في المساجد تأخذ شكل المستطيل، حتى أنَّ الفرق بينهما في عمق بيت الصلاة كبير جدًا، جامع أحمد بن طولون (٣٣م)، وجامع سامراء (٦٢مم) -كما ذكرنا سابقًا-. وهذا فرق كبير في حجم بيت الصلاة بين الاثنين يقترب من النصف تقريبا، وعدد الأساكيب في جامع ابن طولون (٥) اوسعها أسكوب المحراب إذ يبلغ عرضه (٦م) وباقي الأساكيب بعرض (٥م)، وعدد البلاطات (١٧)[١٥].

ونلحظ الاختلاف كبيرًا بين عدد الأساكيب والبلاطات بين المسجدين، حتى أنَّ بلاطة المحراب في جامع سامراء أوسع من البلاطات الأخرى، وأسكوب المحراب في جامع ابن طولون أوسع من الأساكيب الأخرى -كما وضحنا سابقًا-، وهذه نقطة اختلاف جوهرية لم يركز عليها الباحثون عند المقارنة بين المسجدين، وهذا التأثير جاء من مساجد المغرب العربي والأندلس. فكما هو معلوم أنَّ أكثر المساجد في المغرب والأندلس أقيمت على غرار جامع القيروان، إذ انماز تخطيط بيت الصلاة فيه بسعة بلاطة المحراب وأسكوبه[١٦]. فتأثر جامع سامراء ببلاطة المحراب المغربية وتأثر جامع ابن طولون بأسكوب المحراب المغربي، وحتى في تأثيرهما بمساجد المغرب لم يتشابها، أي: جامع سامراء وابن طولون.

وقد فتحت النوافذ في جامع سامراء في جدار القبلة وعددها (٢٤) إلا أنَّه لا توجد نافذة تعلو المحراب، وأضيفت نافذتان في كلّ طرفٍ من طرفي أسكوب المحراب ليكون اجمالي عدد النوافذ (٢٨)، وأخذت هذه النوافذ شكل المزاغل إذ إنّها تضيق من الخارج وتتسع من الداخل لأسباب مناخية، وأنَّ عقودها من الداخل اخذت شكل العقود المفصصة[١٧]. ومن المؤكد أنَّ نوافذ جامع ابن طولون مختلفة تمامًا في أشكالها وأماكنها وأعدادها، إذ فُتحت النوافذ في جدران الجامع

الأربعة وأخذت شكل العقود المدببة وعددها (١٢٨) نافذة وكانت جميعها محشوة بستائر من الجص[١٨]. ومن هذا إنّنا لم نجد التشابه حتى في النوافذ. حتى المداخل مختلفة بين الجامعين فيوجد في جامع سامراء (١٥) مدخلاً موزع بـ (٣) مداخل في الجدار الشمالي و (٢) في الجدار الجنوبي و (٥) مداخل في كلّ من الجدار الغربي والشرقي[١٩]. وفي المقابل أنَّ جامع ابن طولون يحوي (١٩) مدخلاً اختلفت في توزيعها عن مداخل جامع سامراء وهو أمر طبيعي؛ لكون اعدادها اختلفت، حتى أنَّ جدار القبلة فيه يحوي مدخلاً واحدًا[٢٠]، عكس جامع سامراء الذي حوى فيه جدار القبلة على مدخلين –كما ذكرنا–. ووزعت المداخل الباقية على الجدران الأخرى للمسجد.

الأكتاف: لو قارنا بين الأكتاف التي كونت الأساكيب والبلاطات في بيت الصلاة والتي كانت وظيفتها حمل السقف او حمل العقود التي تحمل السقف، لوجدناها مختلفة تمامًا بين المسجدين، إذ إنَّ الأكتاف التي تحمل السقف في جامع سامراء مثمنة الشكل تقوم على قواعد مربعة طول ضلعها (٢،٧) سم بوساطة آثارها الباقية التي كشفتها بعثات التنقيب، وفي كلّ كتفٍ توجد في زواياه الأربع أعمدة رخامية[٢١]. (مخطط– ٢)، ويبدو أنَّ هذا النظام –أي: وجود الأعمدة مع الأكتاف– كان قد مهد لظهور الأعمدة المندمجة بالأكتاف في جامع أبي دلف وجامع ابن طولون، والآن جامع بن طولون لم تستعمل فيه الأعمدة الرخامية قط، أما شكل الأكتاف في مسجد ابن طولون فهي فريدة ومميزة، ذات شكل مستطيل[٢٢]، وقد دمج في زوايا كل كتف عمود مبنيّ من الاجر مغطى بطبقة من الجصّ وهو للزينة فقط[٢٣]. (مخطط –٣)، وهذا اختلاف واضح وكبير بين الأكتاف في المسجدين.

الأعمدة: ذكرنا أنَّ جامع سامراء استعملت فيه الأعمدة الرخامية، في كلّ كتف توجد في زواياه الأربع أعمدة رخامية[٢٤]. إلا أنَّ الأكتاف في جامع ابن طولون استغنت عن الاعمدة الرخامية في زواياها[٢٥]. واكتفت بشكل أعمدة بنيت من الاجر مندمجة مع زوايا كلّ كتف وهي بالحقيقة شكلية وللجمالية وليست لها أيّ وظيفة عمارية؛ لأنَّ ثقل السقف يقع على الأكتاف بشكل رئيس، حتى أنَّ جامع ابن طولون لم يوجد فيه أيّ عمود رخامي قط [٢٦].

العقود: على الرغم من استعمال العقد المدبب في المسجدين؛ لكونه من مميزات العمارة الإسلامية، إلا أنّنا نجد اختلافًا بين المسجدين في بعض العقود، فيوجد في جامع سامراء العقد المفصص الذي اخذته اشكال النوافذ في بيت الصلاة إذ تتكون كلّ نافذة من عقد مفصص خمسة فصوص كلّ فص على شكل نصف دائرة[٢٧]. (لوح– ٢)، ومثل هذا العقد لا نجد له شبيه في جامع ابن طولون. أما جامع ابن طولون فنجد فيه العقود المتجاوزة (حذوة الفرس) كونت الحنايا

الصماء في قاعدة المأذنة [٢٨]. (لوح –٣) كذلك هذا النوع من العقود لم نجد له شبيه في مسجد جامع سامراء.

السقوف: بعد أنْ وصف كرزويل سقف جامع سامراء إذ قال: ((كما يتضح ايضًا أنَّ السقف ارتكز مباشرةً على هذه الدعائم بدون اقواس إذ لا يمكن رؤية أيّ آثار لانبثاق الاقواس على أيّ من الجدران))[٢٩]. إنَّ مَنْ كتبوا عن جامع سامراء جميعهم قد ذكروا أنَّ سقفه يستند على الأكتاف مباشرةً من دون عقود ولا يكاد يختلف احد منهم في هذا الرأي[٣٠]، أما سقف جامع ابن طولون فإنّه يقوم على عقود مستندة على الأكتاف[٣١]. وهذا كذلك فرق كبير ليس في طريقة التسقيف بل يعطي شكلًا مختلفًا لبيت الصلاة بشكل عام؛ بسبب هذا الاختلاف.

المجنبتان والمؤخرة: تختلف المجنبتان والمؤخرة بين الجامعين، فجامع سامراء يتكون فيه رواق كلّ مجنبة من (٤) صفوف من الأكتاف كونت (٢٣) بلاطة تطلّ على الصحن، وتتكون مؤخرة الجامع من رواق فيه (٣) صفوف من الأكتاف كوّنت (٢٥) بلاطة مطلة على الصحن والمجنبتين وهي بعدد بلاطات بيت الصلاة حتى أنَّ البلاطة الوسطى أوسع من البلاطات الأخرى وشبيهة لبلاطة المحراب[٣٢]. (مخطط –١)

اما المجنبتان في جامع بن طولون فيتكون كلّ جانب من صفين من الأكتاف وكلّ صف يتكون من (١٢) كتفًا، تطل على الصحن بـ (١٣) عقدًا (بائكة)[٣٣]. فضلاً عن أنَّ المؤخرة هي الأخرى تتكون من صفين من الأكتاف مكونة رواقين تطلّ على الصحن والمجنبتين بـ (١٧) عقدًا (بائكة)[٣٤]. (مخطط– ٤)

المبحث الثاني

الاختلاف بين المأذنتين بجامع سامراء وابن طولون

المأذنة: ذكر الكثير أنَّ الجامعين متشابهان، وأشاروا الى تشابه المأذنتين. إلا أنَّ مأذنة جامع سامراء لم يكن لها شبيه وهذا لا يخفى على احد، إلا مأذنة جامع ابي دلف لكنها اقل ارتفاعًا وأصغر حجمًا. وسنتناول مأذنة سامراء بشيء من التفصيل؛ لأنَّ الأصوات تعالت حول تشابه مأذنة جامع ابن طولون معها وهذا الشيء مرفوض بالمقارنة بين المأذنتين إذ إنَّ الاختلاف كبير جدًا.

وتقع مأذنة جامع سامراء التي يحلو للكثير تسميتها بـ(المنارة الملوية) في وسط الضلع الشمالي وتبعد عن الضلع الشمالي ما يقارب الـ (٢٧،٥م) وتقع على المحور الوسطي تمامًا، وهي قائمة بمفردها على قاعدة تتكون من مربعين احدهما يعلو الآخر والأعلى متراجع قليلًا عن

الأول، فالأول طول ضلعه ما يقارب الـ (٣٣م) مزين بحنايا صماء[٣٥]، وزّعت (٦) حنايا في الضلع الجنوبي و(٩) حنايا في كلّ ضلع من الأضلاع الثلاثة الأخرى[٣٦]. وارتفاعه ما يقارب الـ (٢،٥٠م)، اما المربع الثاني فهو اصغر من سابقه وطول ضلعه ما يقارب الـ (٣٠،١٠م) وارتفاعه ما يقارب الـ (١،٦٠م) وبذلك يكون الارتفاع الكلي للقاعدة (٤،١٠م)[٣٧]. وترتبط بالمسجد بوساطة أسس هي بقايا منحدر يستعمل للصعود للقاعدة ويبلغ عرضه ما يقارب الـ (١٢م) وطوله ما يقارب الـ (١٢م) ويتصل بالقاعدة من الجهة التي يبدأ فيها المنحدر الحلزوني الذي يؤدي الى قمة المأذنة[٣٨]. وفوق القاعدة يقوم بدن المأذنة ذا الشكل الحلزوني حوله سلم، وهو في الحقيقة منحدر وليس سلم ولكن من أخطاء الصيانة أنّهم وضعوا سلّمًا[٣٩]. وعرض السلم (المنحدر) ما يقارب الـ (٢.٥٠م) ويبدأ من وسط الضلع الجنوبي للقاعدة ويدور حول البدن بخمس دورات كاملة باتجاه معاكس لعقارب الساعة وينتهي عند قمة المأذنة التي تتكون من أسطوانة مزينة بحنايا صماء باستثناء الجهة الجنوبية التي تكوّن المدخل الذي ينتهي عنده المنحدر الحلزوني (السلّم) ويتصل بسلّم بداخله يؤدي الى قمة المأذنة التي يبلغ قطرها ما يقارب الـ (٣م) ووُجد على القمة آثار ثقوب يرجّح أنَّها كانت لأعمدة رخامية تحمل فوقها قبة المؤذن [٤٠]، وأنَّ المأذنة الضخمة الحلزونية مشيّدة بالأجر المربع صلدة تمامًا لا تجويف ولا فراغات في داخلها، يبلغ ارتفاعها الكلي مع القاعدة ما يقارب الـ (٥٢،٥م) [٤١]. (لوح-٤)

أما مأذنة جامع ابن طولون فلها شكل آخر وهندسة غير، حتى قال فيها الدكتور أحمد فكري: (غريبة المظهر والبنيان) [٤٢]، مع أنَّ البعض يدّعي أنَّ الجزء الأعلى منها يعود الى حقبة السلطان المملوكي حسام الدين لاجين، الذي قام بترميمها عام (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) [٤٣]. وهناك مَنْ يؤكد أنَّ الترميم الذي قام به السلطان لاجين كان على غرار ما كانت عليه المأذنة عند نشأتها في زمن ابن طولون، ونحنُ نؤيّد هذا الرأي؛ لأنَّ السلطان لاجين لو سمح لنفسه أنْ يكون شكل المأذنة على هواه لوجدنا لها عدّة امثلة في مصر.

إلّا أنّها بقيت فريدة بشكلها بين المآذن، كما وصفها الدكتور أحمد فكري: (غريبة المظهر والبنيان) [٤٤]، وهذا ما أراده لها ابن طولون منذُ أنشأها بحسب رواية المقريزي: (بأنَّ أحمد بن طولون كان جالسًا شارد الذهن وهو يقوم بلفّ مخطوطة ورقية حول أصابعه وعندما سأله أحدهم عن معنى هذا الإيماء، أجاب حالًا من غير تردد او ارباك بأنّه يخطط لشكل مأذنة)[٤٥]. ولو أراد أحمد بن طولون أنْ تكون على غرار مأذنة جامع سامراء لما شغل فكره بهذه الطريقة، كان عليه أنْ يقول: اجعلوها شبيه بمأذنة جامع سامراء وحسم الامر، لكنه أراد أنْ تكون مأذنة جامعة فريدة وغريبة وكان له ذلك.

وتقع المأذنة خارج الجدار الشمالي محوريًا في منتصفه، تقوم على قاعدة ذات شكل مستطيل تقريبًا [٤٦]، بنيت من الحجر (حتى في مادة البناء مختلفة مع مأذنة جامع سامراء التي بنيت بالأجر كما مرّ بنا سابقًا) ويوجد في كلّ وجه من أوجه القاعدة طاقات صمّاء اختلفت عن طاقات القاعدة في مأذنة جامع سامراء؛ لكونها ذات عقود متجاوزة (حذوة الفرس)، يعلو كلّ طاقة عقد متجاوز على هيأة عقود المآذن الأندلسية، وكان ارتفاع القاعدة بحدود (٢١م) ويعلوها طابق ثانٍ ذو شكل اسطواني يبلغ ارتفاعه (٩م) وقطره (٧م)، وأعلاه طابقان مثمّنان متراجعان تعلوهما قبة صغيرة مضلعة، ويبلغ ارتفاع المأذنة عن سطح الأرض (٤٠م)، سلّمها من الخارج[٤٧]. (لوح– ٥) وهذا الشيء الوحيد الذي يشابه مأذنة جامع سامراء، مع أنَّ مأذنة جامع سامراء لم يكن لها سلّم بل منحدر حوّل الى سلّمٍ؛ بسبب اعمال الترميم الخاطئة.

ويتبين ممّا عرضناه أنَّ المأذنتين يختلفان في الشكل ومادة البناء والارتفاع فليس هناك شبهٌ سوى المنحدر في جامع سامراء والسلّم في جامع ابن طولون فكليهما من الخارج.

الخلاصة

١- إنَّ الدراسات جميعًا التي تطرقت الى جامع أحمد بن طولون اكدت على أنّه شبيه بجامع سامراء الكبير.

٢- إنَّ سبب هذا كان المقريزي الذي نقل رواية مفادها التشابه بين الجامعين.

٣- جميع مَنْ كتب عن جامع أحمد بن طولون اعتمد رواية المقريزي من دون دراسة أو مقارنة عملية بل اعتمد النقل وهو الأسلوب المعارض لطبيعة البحث العلمي، لذا دام هذا الخطأ مدّة طويلة ممّا دعانا للخوض فيه وتصحيحه في هذه الدراسة.

٤- إنَّ الاختلاف بين الجامعين في التخطيط والعمارة وحتى في اختيار الموضع.

٥- وجود العقود المفصصة في جامع سامراء والعقود المتجاوزة في جامع ابن طولون.

٦- اختلاف عدد المداخل بين المسجدين.

٧- وجود الشرف المسننة اعلى السقف في جامع ابن طولون وانعدامها في جامع سامراء.

٨- استعمال الرخام في بناء الأكتاف في جامع سامراء، وانعدامه في جامع بن طولون.

٩- إنَّ الاختلاف بين المأذنتين في الجامعين كبير جدًا من حيث الشكل والارتفاع ولا يتشابهان إلا بجزء بسيط ألا وهو السلّم الخارجي.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 10, Issue 33, Aug 2023
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

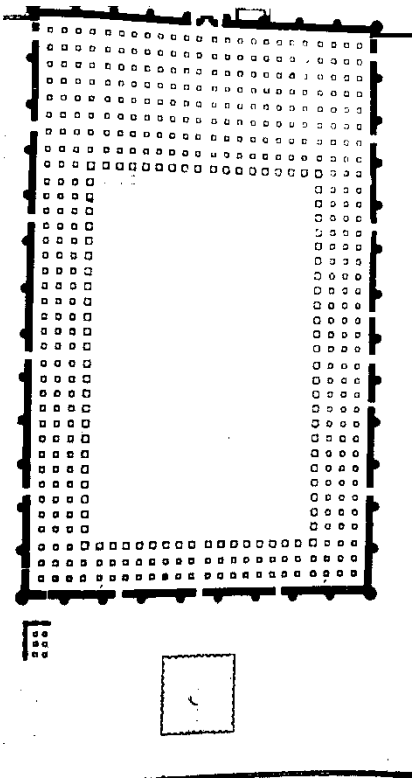

(مخطط– ١) اساكيب وبلاطات جامع سامراء

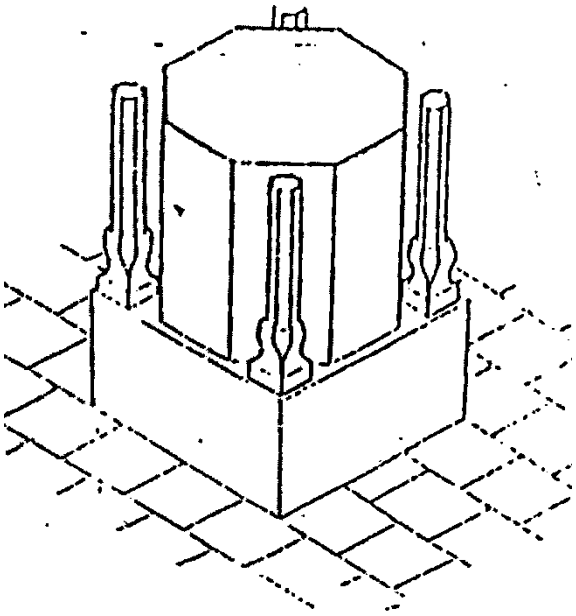

(مخطط –٢) اكتاف بيت الصلاة جامع سامراء

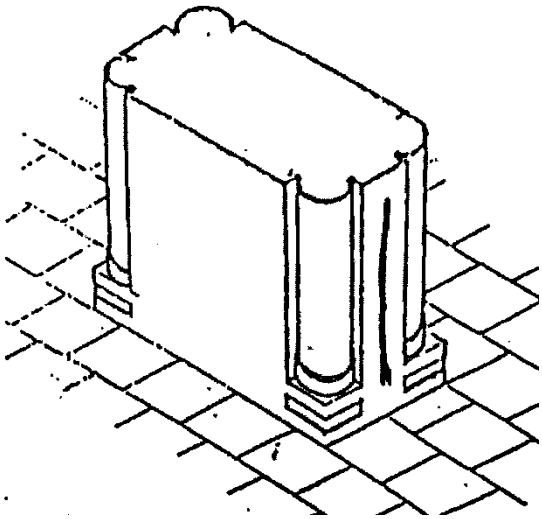

(مخطط –٣)
اكتاف بيت الصلاة جامع بن طولون

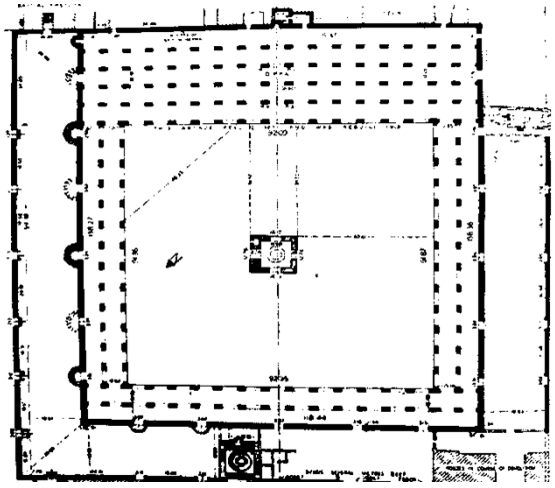

(مخطط –٤)
بلاطات واساكيب جامع بن طولون

(لوح– ١) الشرف المسننة لجامع بن طولون

(لوح– ٢) نوافذ جامع سامراء

(لوح– ٣) حنايا مأذنة بن طولون

(لوح–٤) مأذنة جامع سامراء (الملوية)

(لوح– ٥) مأذنة بن طولون

الهوامش

References

[١]– المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، ج ٤، ص٤٠.

[٢] – زيدان، جرجي، احمد بن طولون، دار الاندلس، بيروت، د. ت، ص ١٣٦.

[٣] – حميد، عبد العزيز، الزخرفة في الجص، موسوعة حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥، ص ٣٧٩–٣٨٠.

[٤] – زيارة ميدانية للباحثين بتاريخ ٢٢/١١/ ٢٠٢٢.

[٥] – الياور، العمارة العربية الإسلامية في مصر، مطبعة وزارة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٩، ص ٤٩.

[٦] – المصدر نفسه، ص ٤٩–٥٠.

[٧] – العطيوي، امل محمد علي، بناء وزخارف احمد بن طولون القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٣–١٤.

[٨]– العميد، طاهر مظفر، عمارة سامراء الإسلامية في عهد المتوكل، سومر، ج١و٢، م٣٢، ١٩٧٦، ص١٩٤.

[٩] – كرزويل، الاثار الإسلامية الأولى، ترجمة عبد الهادي عبله، دمشق، دار قتيبة، ١٩٨٤، ص٣٦١.

[١٠] – طلعت، المصدر السابق، ص ٥٤.

[١١] –فكري، احمد، المدخل مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف بمصر، د ت، ص١٠٨.

[١٢] – الاعظمي، محمد طه محمد، الاسوار والتحصينات الدفاعية في العمارة العراقية القديمة. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٢، ص ٣٢٠.

[١٣]– العطيوي، المصدر السابق، ص ١٨.

[١٤] – حميد، عيسى سلمان، العمارة الدينية، حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥، ج٩، ص ٥٢–٥٣.

[١٥] – فكري، المصدر السابق، ص ١٠٨.

[١٦] – العميد، طاهر مظفر، اثار المغرب والاندلس، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٨٩، ص ٦٩.

[١٧] – زيارة ميدانية للباحثين بتاريخ،٢٢، ١١، ٢٠٢٢.

[١٨] – الياور، المصدر السابق، ص ٦١.

[١٩] – حميد، المصدر السابق، ص ٥٤.

[٢٠] – العطيوي، المصدر السابق، ص ٢٠.

[٢١] – كرزويل، المصدر السابق، ص٣٦٤.

[٢٢] – الريحاوي، عبد القادر، العمارة في الحضارة الإسلامية، مطابع جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط١، ١٩٩٠، ص ١٢٩.

[٢٣] – الباشا، حسن، القاهرة مدخل الى الاثار الإسلامية، دار النهضة العربية، ١٩٨١، ص ٤٤.

[٢٤] – كرزويل، المصدر السابق، ص٣٦٤.

[٢٥] – فكري، المصدر السابق، ص ١١٩.

[٢٦] – الياور، المصدر السابق، ص ٦٦.

[٢٧] – زيارة الميدانية للباحثين بتاريخ ٢٢/١١/ ٢٠٢٢.

[٢٨] – العطيوي، المصدر السابق، ص ٢٥.

[٢٩] – كرزويل، المصدر السابق، ص ٣٦٤.

[٣٠] – الوحيد الذي يخالف هذا الرأي هو الدكتور منتصر صالح إذ يرى أنَّ السقف يقوم على عقود بجامع سامراء في بحثه، قراءة جديدة لتخطيط وعمارة جامع سامراء الكبير (جامع الملوية)، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، العدد ٧٦، ٢٠٢٠.

[٣١] – فكري، المصدر السابق، ص١١٢.

[٣٢] – حميد، المصدر السابق، ص ٥٣.

[٣٣] – الياور، المصدر السابق، ص ٥٥.

[٣٤] – كرزويل، المصدر السابق، ص ٤٠٥.

[٣٥] – محمد،غازي رجب، العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص١٥١.

[٣٦] – العميد، مظفر طاهر، تخطيط المدن العربية الإسلامية، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٦، ص٤٩٠.

[٣٧] – رشيد، قيس حسين، المساجد وحضورها على لائحة التراث العالمي (سامراء انموذجاً)، ٢٠٠٩، ص٥٥.

[٣٨] – زيارة ميدانية للباحثين بتاريخ،٢٢ /٢٠٢٢/١١.

[٣٩] – كاظم، منتصر صالح، قراءة جديدة لتخطيط وعمارة جامع سامراء الكبير (جامع الملوية)، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، العدد ٧٦، ٢٠٢٠، ص ٤٩.

[٤٠] – محمد، المصدر السابق، ص ٥١.

[٤١] – صالح، عبدالعزيز حميد، سامراء آثارها وزخارفها الجصية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٢٢، ص١٢٧.

[٤٢] – فكري، المصدر السابق، ص ١١٨.

[٤٣] – العطيوي، المصد السابق، ص٢٧.

[٤٤] – فكري، المصدر السابق، ص ١١٨.

[٤٥] – نقلاً عن العطيوي، المصدر السابق، ص ٢٧.

[٤٦] – العطيوي، المصدر السابق، ص٢٤.

[٤٧] – الياور، المصدر السابق، ص٦٩–٧٢.